Distr.
LIMITED

E/ESCWA/SDD/2003/WG.1/14
8 October 2003
Original: Arabic

اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا

الاجتماع العربي للتقييم العشري للسنة الدولية للأسرة
بيروت، ٧-٩ تشرين الأول/أكتوبر ٢٠٠٣

...NOMIC AND SOCIAL COMMISSION
FOR WESTERN ASIA

13 -10- 2003

LIBRARY & DOCUMENT SECTION

أثر الاحتلال والحروب والنزاعات المسلحة على أوضاع الأسرة العربية: دراسة حالة الكويت

إعداد

أنوار العلي
مساعد مدير إدارة المرأة والطفولة
وزارة الشؤون الاجتماعية والعمل

ملاحظة: طبعت هذه الوثيقة بالشكل الذي قدمت به ودون تحرير رسمي. والآراء الواردة فيها هي آراء المؤلف، وليست، بالضرورة، آراء الإسكوا.

المحتويات

	الصفحة
مقدمة وتمهيد	٣
واقع الأسرة الكويتية	٤
أولاً- أثر الاحتلال عام ١٩٩٠ على الأسرة الكويتية	٤
ثانياً- الأسر المتضررة في الكويت	٥
ثالثاً- ملامح التغير الاجتماعي في الأسرة والعلاقات الاجتماعية أثناء الاحتلال	٦
رابعاً- تأثير الاحتلال على أوضاع المرأة في الكويت	٦
خامساً- الأسرة الكويتية بعد زوال الاحتلال	٧
الخاتمة	٨
المراجع	٩

مقدمة وتمهيد

أعلنت الجمعية العامة للأمم المتحدة سنة ١٩٩٤ سنة دولية للأسرة بهدف زيادة الوعي بين الحكومات وواضعي السياسات والمجتمع المدني لقضايا الأسرة باعتبارها الوحدة الأساسية للمجتمع وبهدف تعزيز الأنشطة والبرامج الرامية لدعم الأسرة.

وناشدت الجمعية كل المنظمات والوكالات المتخصصة في منظومة الأمم المتحدة بذل كل الجهد الممكن في مجال الإعداد للاحتفال بالسنة الدولية والالتزام بها وتحقيق أهدافها.

وتمثِّل الأسرة حاجات إنسانية أساسية لدى الفرد في أي مجتمع من خلال نظرة تكاملية لجميع جوانب الاحتياجات بما تضمنه من جوانب اجتماعية ونفسية واقتصادية وصحية وروحية وتثقيفية وبذلك تصبح الأسرة هي النواة الأولى لبناء المجتمع وتتحمل الأسرة مسؤولية تنشئة الأجيال وتؤصِل فيها القيم والمعايير الأساسية التي تلتقي مع مبادئ الخير وتعاليم الأديان السماوية.

ولذلك أدركت كل الحضارات الإنسانية قاطبةً أهمية الأسرة ومدى وجوب شمولها بالرعاية والحماية وذلك انطلاقاً من الحماية التي أضفتها عليها الأديان من خلال التشريعات السماوية وانتهاءً بالتشريعات والقوانين الوضعية التي أقرَتها الدول المتحضِرة في أعرافها لتترجم بذلك مدى إدراكها لأهمية الأسرة ودورها في تنشئة الأجيال وبالتالي شمولها بأولويات الرعاية في شتَى مناحي الحياة لتتمكن الأسرة من القيام بدورها في تحقيق استقرار العلاقات الاجتماعية.

وفي ضوء التوجهات العالمية نقدم هذه الدراسة نحو بيان وضع الأسرة الكويتية التي عانت قبل ما يزيد عن عقد من الزمان من احتلال اجتاح أراضيها وحاول تغريب هويتها وتشريد أهلها وتحطيم بنيتها التحتية والعبث بمقدراتها وثرواتها.

وظلت تعاني آثاره الاجتماعية والنفسية والاقتصادية والسياسية حتى الساعة.

واقع الأسرة الكويتية

لعلَ أبرز ملامح المجتمع الكويتي هو سرعة تطوره. فمنذ سنين عديدة والمجتمع الكويتي في تبدُل مستمر وتحوُل لا يكاد يقف لحظة في سيره وحركته وتقدُمه الذي يتفاعل مع كل ما هو حديث وفقاً لما يستجدّ في المجتمع من علاقات ويتبلور من احتياجات. وما من شك أن هذا التبدُل والانتقال لم يكن ليتم بمثل هذه الصورة السريعة لو لم تكن النفوس والأذهان مهيئة لمثل هذا التطور أو التغيير.

ورغم التطور والتحول السريع في المجتمع الكويتي والانفتاح، إلاّ أنه ظلَ مجتمعاً مسالماً ومتسامحاً ينشد السلام والحرية لشعوب العالم.

أولاً- أثر الاحتلال عام ١٩٩٠ على الأسرة الكويتية

يقول العالم الإسلامي الكبير الطبيب الملهم إبن سينا "تصعب دراسة أي موضوع أو مشكلة دون أن يكون للأسرة دوراً بارزاً ومهم فيها". ولا شك أن اعتداء النظام العراقي البائد على الكويت عام ٩٠ واحتلالها على مدى سبعة أشهر، ظاهرة عدائية لم يسبق لها مثيل في التاريخ الإسلامي منذ ظهور البعثة النبوية، هذا فضلاً عن تعارضها مع مبادئ الإسلام في المجتمع الإسلامي "المسلم للمسلم كالبنيان يشد بعضه بعضاً" ورغم قصر مدة هذا الاحتلال إذا قورن بأشكال أخرى من الاحتلال، إلاّ أن عمق الأضرار التي أحدثها هذا الاحتلال في فترة الأشهر السبعة كان مما يساوي احتلاله لسنين من حيث ما خلّفه من آثار وتخريب، وإذا ما وضعنا في اعتبارنا محن الشعوب الأخرى وتجاربها إلاّ أننا ينبغي أن نضع في اعتبارنا أيضاً بعض الفوارق بين ما حدث في الكويت وبين الحروب التي مرَت في العالم وذلك لعدة أسباب منها:

١) العدوان جاء من جار عربي مسلم تربطه بالكويت أواصر قربى ونسب وعلاقات أسرية واجتماعية واقتصادية. في هذه الحالة كانت الصدمة أعنف وأقوى فلقد جاءت من صديق.

٢) العدوان لم يكن متوقعاً حتى بالرغم من كل ما بثّته وسائل إعلام النظام البائد في العراق في حينها من ادَعاءات كاذبة ومغرضة لتبرير نواياه الخبيثة وندلّ على ذلك بالدراسة التي أجريت في أعقاب التحرير ٩٣ حول مدى توقُع حدوث الغزو قبل حدوثه من قِبل المواطنين الكويتيين حيث أكد ٨١% من إجمالي عينة البحث البالغة ٥٩٠ مواطن كويتي، أنهم لم يتوقّعوا حدوث الغزو العراقي لدولة الكويت.

٣) كان العدوان في وقتٍ ينشد العالم كله فيه السلام، وكانت الحرب العراقية الإيرانية لم تلبث أن وضعت أوزارها.

٤) اجتياح العدوان الكويت مستهدفاً، طمس كل ما هو كويتي، فغيَر أسماء الشوارع والمؤسسات والوزارات والمناطق، بل أنه حوّل دولة ذات سيادة إلى محافظة من محافظات العراق ؟

٥) جاء العدوان ليقضي على الطبيعة والحيوان، وحرق متعمداً سبعمائة بئر نفط.

٦) سرق العدوان كل شئ حتى التراث والمخزون الفكري والثقافي وكانت أكبر سرقة في العالم.

ثانياً- الأسر المتضررة في الكويت

تعرضت الأسرة في الكويت بعد العدوان إلى هزَة قوية خلخلت المفاهيم والمبادئ والقيم وأفرزت فيما بعد نوعين من الأضرار:

١- الأضرار المادية المتمثِلة في العدوان المادي والاقتصادي على المنشآت والممتلكات بالتخريب والنهب والسلب.
٢- الأضرار المعنوية التي تمثلت في سعي المعتدي إلى طمس وإلغاء الهوية الكويتية ونزع الشعور بالأمن الاجتماعي والانتماء القومي للشعب الكويتي والتسبُب في حالات توتُر نفسي وتوجّس مستمر لدى الناس وشيوع حالة الازدواج العاطفي بين أهل الكويت من جرَاء الممارسات الوحشية من قبل النظام المعتدي.

واتَسعت دائرة الضرر لتشمل الكويتيون في الداخل والخارج حيث صنَفت الأسر أثناء الاحتلال إلى أربعة أنواع: ١- أسر خارج البلاد قبل العدوان ٢- أسر كانت في الكويت وغادرت أثناء العدوان ٣- أسر كانت في الكويت وغادرت في فترة تزيد عن شهر ٤- أسر كانت في الكويت ولم تغادر. إلاَ أن جميعهم تربطهم سمات مشتركة وهي الإحساس بمرارة العيش وفقدان السعادة والبعد عن الأهل والوطن وضياع الأمن والشعور بالأزمة والضرر من العدوان الغاشم ولا أسرة على أسرة، فالكل متضرر.

وقد أشارت دراسة أجريت على عينة قوامها ٥٠٠ طالب من طلبة جامعة الكويت بعد الاحتلال وقسِم أفرادها إلى مجموعتين: الأولى اشتملت على الكويتيين الصامدين داخل الكويت إبان الاحتلال والمجموعة الثانية اشتملت على الكويتيين النازحين المقيمين خارج الكويت أثناء الاحتلال.

تشير هذه الدراسة إلى عدم وجود فروق جوهرية بين المجموعتين، فكلتا المجموعتين تعاني من عدد من الآثار السلبية للاحتلال ومنها:

(أ) الشعور بعدم الأمن
(ب) تغيير النظرة تجاه الروابط العربية
(ج) الخوف من عودة الاحتلال مرة أخرى أو احتلال أي دولة خليجية أخرى
(د) الشعور بالعصبية
(هـ) القلق المستديم
(و) الفزع أثناء النوم
(ز) الشعور بالاكتئاب
(ح) الانطواء
(ط) الخوف والتشاؤم واهتزاز القيم

ثالثاً- ملامح التغير الاجتماعي في الأسرة والعلاقات الاجتماعية أثناء الاحتلال

حاول الاحتلال إشاعة الفوضى من خلال تدمير المؤسسات الوطنية وكانت استجابة الكويتيين هي إعادة تنشيط العلاقات في الأسرة الكبيرة والروابط الاجتماعية بين الجماعة ففي العقود الأخيرة السابقة لم تكن هناك حاجة لهذه الروابط من أجل تأمين السلع الأساسية والأمن. فحسب إحصاءات عام ١٩٨٩، كان هناك ١١٠ آلاف أسرة تستفيد من نظام المساعدات الاجتماعية، حرموا من الدخل المنتظم الذي تكفله لهم الدولة وكذلك المنتفعين بقانون التأمينات الاجتماعية مما أثر على وضعهم المعيشي لولا التكافل الاجتماعي الذي ساد المجتمع لتدهورت أحوال هذه الأسر. وقد عادت أثناء المحنة الأسرة الكبيرة لأداء وظائفها السابقة بانتقال الأسر من المناطق البعيدة إلى مدينة الكويت للمعيشة مع الأسرة والمشاركة فيها وقد شملت العلاقات الأسرية الموسَعة في الأحياء والجمعيات والديوانيات والمساجد والجمعيات التطوعية الأخرى العمود الفقري للمقاومة السياسية للاحتلال وقد عمل الرجال والنساء في داخل الأسرة كوحدة واحدة.

رابعاً- تأثير الاحتلال على أوضاع المرأة في الكويت

تغيرت أوجه الحياة خلال فترة الاحتلال في المجتمع الكويتي حيث أسفر النضال المسلّح عن كثير من الانتفاضات العنيفة ومع انتشار جنود العدو وآلياته العسكرية في كل مكان ورحيل بعض الذكور واختفاء البعض الآخر (الشباب والرجال) وجدت المرأة الكويتية نفسها في موقف جديد اضطرت حياله إلى أن تقوم بالأعمال المنزلية وغيرها، كما كان عليها أن تناضل وتكافح ضد الجيش المعتدي الذي ضاعف اعتداءاته واستفزازاته وانتقامه في محاولة منه لأن ينال ما يريد عن طريق القوة وإرهاب السكان. وكان من الضروري من أجل الدفاع عن العزة والهوية أن يعبأ الشعب الكويتي كله والمرأة الكويتية تشكِل نصفه طبعاً، وهكذا ارتبطت قضية المرأة بقضية الكويت وطرد المعتدي منها.

وقد كان للتغيرات الجذرية التي أحدثتها حرب تحرير الكويت، أثرها المباشر والفعّال على الأسرة الكويتية ومن ثم على المرأة. وقد كتب أحد الباحثين يقول: إن الروابط التي تجمع الزوجين في الكويت توثّقت في أثناء الاحتلال وكواحدة من روابط التنظيم النووي تحولت بسرعة إلى وحدة وجودية ثم أضاف "لقد كان يعهد إلى المرأة الكويتية مهمات صعبة وأعباء شاقة".

وليس هناك مصدر أو وثيقة يمكن أن توفر لنا المعلومات الوثيقة عن مئات بل آلاف النساء اللاتي اشتركن بشكل مباشر أو غير مباشر في الحرب كشقيقات أو أمهات أو زوجات للشهداء أو المقاتلين أو الأسرى أو المفقودين، فهؤلاء النساء قدَمن الكثير من العون والمشاركة في صد العدوان على جميع الجبهات ولقد اعتمد الكويتيون من أفراد المقاومة الوطنية الباسلة اعتماداً كبيراً على تأييد السكان ومن ثم على المرأة.

وقد ظلت الكثير من نساء الكويت في حالة هدوء تام وفي ظل أقسى الظروف التي كانت سائدة آنذاك وبالرغم من أنهنَ كنَ يتعرضن لأساليب غير إنسانية في التعامل معهن وعلاوةً على ذلك، فإن الأعمال التعسفية اتخذت ضد كافة الأعمار بلا تفرقة وفي كثير من الأحيان كانت النساء اللاتي يعتقلن يتعرضن لعمليات رهيبة من التعذيب النفسي والجسدي.

ومهما تكن الطريقة التي أسهمت فيها المرأة الكويتية في النضال والكفاح والعمل من أجل الحرية والحق والوطن فإنها أثبتت أنها قادرة على أن تكيف نفسها مع المواقف الجذرية التي صاحبت العدوان، فقد

قامت بحل الكثير من المشكلات وتذليل الصعاب وتسهيل المهام وأسهمت كذلك في الكثير من الأدوار التي تتطلب قدرات خاصة، كحل المنازعات وتنظيم النشاطات والدخول في المناقشات التي تدور حول تطور مواقف الدول تجاه قضية الكويت آنذاك، ورغم الصعوبات التي عانتها المرأة الكويتية نتيجة لآثار العدوان ومنها ما واجهته المرأة الكويتية المتزوجة من غير كويتي وخاصة المتزوجة من الجنسية العراقية وما واجهها من مصاعب في التعامل مع المجتمع والمشاعر المتضاربة بين الزوج الذي يحمل جنسية المعتدي أو جنسية دولة مساندة للعدو وبين ولاءها لوطنها وما ترتّب على ذلك من آثار سلبية على أسرتها وأبناؤها.[1]

إضافة إلى أن العديد من النساء تحمّلن إدارة دفة شؤون أسرهن وإعالتها نظراً لغياب الشريك، (شهيداً أو أسيراً).

إلاّ أن نضال المرأة الكويتية ومعاناتها من أجل صد العدوان عن أراضيها قد مهّد لظهورها بشكل واضح على المسرح السياسي كمشاركة فاعلة في الأحداث التاريخية بالرغم من الظروف والتقاليد الاجتماعية عميقة الجذور التي ظلت تحول دون ممارستها لهذا الدور وكان المرسوم رقم ٩٩/٩ بشأن تمكين المرأة من ممارسة حقها السياسي الذي كفله لها دستور الدولة الصادر عام ١٩٦٢، اعترافاً وتقديراً من صاحب السمو أمير البلاد الشيخ جابر الأحمد الجابر الصباح حفظه الله، وساماً تقلدته المرأة الكويتية ووعداً بحتمية تمكينها من هذا الحق في القريب العاجل.

خامساً- الأسرة الكويتية بعد زوال الاحتلال

واجه المجتمع الكويتي التحدي وقبله بإصرار وأعاد إعمار الوطن بمدة قياسية عمرانياً واقتصادياً وفاقت كل التصورات المدة القياسية التي تمّ خلالها إطفاء ٧٠٠ بئر نفط أشعلتها نار الحقد الصدامية حيث لم تتجاوز العشرة شهور في حين توقع لها المحللون المختصون أن تمتد إلى عدة سنوات.

ولكن الأعياد توالت على مدى إثني عشر عاماً متشحة بالسواد فلا زال ما يزيد عن ٦٠٠ من أبناء وبنات الكويت أسرى ومرتهنين في سجون الطاغية وعدد منهم لم يتجاوز الرابعة عشر من عمره وقت الأسر مما سبب المعاناة النفسية والاجتماعية لأسر الأسرى.

وطرقت دولة الكويت كل السبل في سبيل استعادة أسراها إلا أن كل محاولاتها قوبلت بالإنكار واللامبالاة من النظام العراقي البائد. حتى كانت حرب تحرير العراق التي أعادت لأذهان الكويتيين صور الاحتلال التي أعادت تمثيلها الصواريخ التي أطلقها النظام البائد في العراق على المنشآت المدنية في مدينة الكويت والمناطق المأهولة بالسكان.

وقد عاشت العديد من الأسر على أمل عودة أبناءها وبناتها الأسرى بعد زوال النظام إلاّ أن سقوط النظام كشف الوجه الأكثر قبحاً للنظام البائد من خلال اكتشاف المقابر الجماعية التي أسفرت عن عودة ما يزيد عن ١٣٥ أسيراً شهيداً ليحتضنهم تراب الوطن. وتؤكد الدلائل على وجود المزيد من رفاة الأسرى الكويتيين في مقابر جماعية في مناطق متعددة من أرض العراق.

وهكذا سقطت كل الادعاءات المشككة في وجود أسرى للكويت لدى النظام البائد.

---

[1] وفقاً لبيانات عام ١٩٨٩، كان بالكويت ١٣ ألف حالة زواج مختلط (كويتي-غير كويتية) أو (كويتية-غير كويتي).

لقد استعانت أسر الأسرى المرتهنين طوال السنوات الماضية بالصبر والإيمان والأمل بعودة أسراها إلا أن اكتشاف رفاة العديد منهم في مقابر جماعية تسبب في صدمة نفسية لهذه الأسر وصعوبة في تجاوبها مع الوضع الجديد الذي أسفر عنه سقوط النظام البائد والدعوى لإصلاح ما أفسده النظام البائد في العراق بين الشعبين الكويتي والعراقي وإعادة توحيد الصف العربي.

إلا أن الحقيقة التي لا يمكن إنكارها، إن الأم الكويتية لا زالت تجد صعوبة في إقناع أطفالها بأن الذي وقع على الكويت لم يفعله مسلم ولا عربي بل شرذمة من المرتزقة ومن الصعوبة ترسيخ أسس القومية العربية في أذهان أطفالنا والتي طالما رددناها صغاراً ثم نسفتها قنابل النظام البائد في العراق ودمَرت معانيها الأبواق التي هتفت له.

الخاتمة

إذا كانت الحروب تبدأ في عقول الناس ففي عقول الناس أيضاً يجب أن تبدأ عملية السلام "هكذا نصَت ديباجة ميثاق اليونيسكو غداة إعلانها قبل خمسين عاماً وهكذا يظل تحدي زمننا الراهن أيضاً.

فبالرغم من كل ما مرَ به شعب الكويت طوال الأعوام الماضية والمعاناة والألم الذي لا زال يتجرَعه وهو يرى أبناءه الأسرى الذين طال انتظارهم وقد دفنوا في مقابر جماعية بفعل المجرم صدام حسين وزبانيته. وإذ نطالب بتوصية للتأكيد على قرارات الأمم المتحدة بملاحقتهم وتقديمهم للمحاكم كمجرمي حرب، عاثوا في الأرض فساداً وضربوا بالمواثيق والمعاهدات الدولية المعنية بحقوق الإنسان ومعاملة أسرى الحروب عرض الحائط.

فإن الكويت كانت دائماً وأبداً صوتاً للسلام بين الدول العربية وبين العالم أجمع.

ولن يتأتى لنا ذلك إلاّ بفهم واعي لما مرَت به أمتنا العربية والإسلامية من تجارب ومحن والتعامل معها بموضوعية ومعالجة مسبباتها وآثارها لا إعتبارها كأنها شيئاً لم يكن، بمجرد انتهائها.

المراجع

١- إلفين توفرلر، صدمة المستقبل ما ترجمه محمد ناصف.
٢- زين العابدين ورولسين "أثر العدوان العراقي في الحالة النفسية للشباب الكويتي"، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، جامعة الكويت، العدد ٣٩ السنة العاشرة، ١٩٩٢.
٣- سعد عبد الرحمن، صدمة ما بعد الحرب، الحلقة الدراسية الأولى من ٢٣ – ٢٥ يناير ١٩٩٣ بعنوان أزمات ما بعد الحرب، (الفرد – الأسرة – المجتمع)، مكتب الإنماء الاجتماعي في الكويت.
٤- باسمة كيال، سيكولوجية المرأة، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٦.

UNESCWA LIBRARY
20005502